الواقعية المفرطة (Excessive realism)
عند الفنان التشكيلي الليبي عبدالرزاق الرياني

■ م . م . حافظ سليمان سعد العدلي *

ملخص البحث

كانت الحركة التشكيلية في ليبيا تعاني إهمالا من طرف المتابعة والتوثيق والتعريف بها، وقصور واضح في تناول موضوعات الفن التشكيلي في ليبيا، وهي سبب مهم وأساسي في عدم التعريف بالفن التشكيلي في الوسط الفني العالمي والعربي، وكانت من أهمية البحث التعريف بالفنان الليبي التشكيلي (عبدالرزاق الرياني) والذي يعتبر من رواد المدرسة الواقعية وبالأخص الواقعية المفرطة، ودراسة أعماله، الذي يثري المدرسة الواقعية المفرطة بعدد من مجالات أهمها إبراز التراث الليبي وملامح الثقافة في ليبيا، حيث تهدف الدراسة إلى التعريف بالمدارس الفنية ذات الصلة بالمدارسة الواقعية، مع الشرح لنبذة مختصرةعن التشكيل الليبي المعاصر لأجل إثراء الوعي الفني لدى دارسي الفنون الجميلة، ودراسة أهم مراحل الفنان التشكيلي عبد الرزاق الرياني، ودراسة وتحليل أهم أعماله الفنية ذات الطابع الواقعي المفرط (Realism) .

المقدمة

يعتبر الفن التشكيلي مرآه الحضارات والمعبر الرئيسي بين الدول واللغات، ولفن التصوير دور أساسي في التعبير ومحاكاة العصور المختلفة حيث نقل للإنسان مراحل حياته والذي يليه إلى عصرنا الحاضر .

ولفن التصوير مدارس كغيره من الفنون فمنها الواقعية والتجريدية والكلاسيكية والتكعيبية ... إلخ، وتعتبر الواقعية من المدارس الأولى والأساسية حيث بداية الفن كان واقعياً ثم إلى المدارس الأخرى .

ومن الواقعية إلى الواقعية المفرطة (Realism) والتي بدورها لها أثر كبير في تطور فن التصوير حيث تعتبر أدق المدارس الفنية من حيث وضوح الألوان والأشكال ومحاكاتها للواقع بدقة متناهية .

*عضو هيئة التدريس بكلية الفنون والعمارة قسم الفنون جامعة عمر المختار درنة

وفي هذا البحث يتطرق الدارس الخوض في الحديث عن المدارس الفنية التي لها علاقة بموضوع البحث، وثم إلى المدرسة الواقعية المفرطة، ثم تطرق الدارس إلى إعطاء نبذة مختصرة عن التشكيل الليبي المعاصر الذي مر بعدة عوامل أثرت على تطور الفن التشكيلي في ليبيا، ثم إعطاء نبذة مختصرة عن حياة الفنان التشكيلي عبدالرزاق الرياني الذي يعتبر من رواد المدرسة الواقعية المفرطة في ليبيا، ثم دراسة أهم أعماله الفنية عن طريق تحليل أعمالة المعبرة عن المدرسة الواقعية المفرطة بموضوعاته المختلفة .

- **مشكلة الدراسة :**

تعاني الحركة التشكيلية في ليبيا من إهمالا من طرف المتابعة والتوثيق والتعريف بها .

ويرى الباحث إن هناك قصورا واضحا في تناول موضوعات الفن التشكيلي في ليبيا، وهي سبب مهم وأساسي في عدم التعريف بالفن التشكيلي في الوسط الفني العالمي والعربي، وتعتبر دراسة فنان من فنانى الحركة التشكيلية في ليبيا من أهم أسباب إبراز دورها والتعريف بها .

.أهمية الدراسة :

يعتبر الفنان الليبي التشكيلي (عبدالرزاق الرياني) من رواد المدرسة الواقعية وبالأخص الواقعية المفرطة، ودراسة أعماله الذي يثري المدرسة الواقعية المفرطة بعدد من مجالات أهمها إبراز التراث الليبي وملامح الثقافة في ليبيا .

- **أهداف الدراسة :**

تهدف الدراسة إلى عده نقاط أهمها:

1 التعريف بالمدارس الفنية ذات الصلة بالمدارس الواقعية .

2 شرح نبذة مختصرة عن التشكيل الليبي المعاصر لأجل إثراء الوعي الفني لدى دارسي الفنون الجميلة .

3 دراسة أهم مراحل الفنان التشكيلي عبد الرزاق الرياني .

4 دراسة وتحليل أعمال الفنان الليبي عبد الرزاق الرياني ذات الطابع الواقعي المفرط (الهايبرياليزم) .

أهم المدارس الفنية ذات العلاقة بموضوع الدراسة

تنوعت المدارس الفنية من حيث الأساليب والموضوعات والخامات، فمنها الكلاسيكية

ومنها التجريدية والواقعية ومنها الانطباعية والتكعيبية، ومنها السريالية، ومن أهم المدارس ذات العلاقة بموضوع الدراسة التي يود دراستها الباحث (الكلاسيكية الجديدة الرومانتيكية الواقعية الواقعية المفرطة (Realism) .

الكلاسيكية الجديدة :

حيث مثلت هذه المدرسة الخروج عن الأسلوب المعتدل للتقاليد القديمة للتراث الإغريقي . وكان الفنان (ديفيد) هو زعيم هذه المدرسة وكان من أبرز أنصار ومؤيدي الفنان (انجر) [1] .

فقد كانت هذه المدرسة تدعو إلى نبذ النزعة الزخرفية والأناقة المتصنعة في الطراز الروكوكو. والاتجاه إلى أسلوب تصوير الموضوعات المقتبسة من تاريخ الشعوب، والرجوع إلى النماذج الكلاسيكية الإغريقية سواء كان ذلك في الموضوع أو أسلوب التنفيذ، وهو ما أدى إلى إحياء تقاليد الفن في عصر النهضة وتقاليد الفن الروماني القديم فقد كان الموضوع نبيلاً خالياً من العواطف ، وتمثلت السمات العامة في هدا الفن في الرسم الدقيق واتباع قواعد المنظور ومراعاة النسب التشريحية والتجسيمية ومحكاة الألوان الطبيعية بالإضافة للمهارات الصناعية التي تكسب الأجسام ثباتاً وهدوءًا، واعتمد الفنان في هذه المدرسة على استخدام الألوان القاتمة والخطوط المحكمة مما أدى إلى خروج الأشكال المصورة بطريقة جامدة تتأكد فيها الخطوط الخارجية بالطريقة الكلاسيكية المعهودة، الشكل رقم (1) .

من حيث الإضاءة : فقد كان هناك التزام بالتضليل من خلال مصدر الضوء فيظهر على نصف الأشكال ويظل الجزء الآخر معتما ليعطي الأجسام استدارتها وكتلتها، وكما كان هناك التزام واضح من ناحية المنظور وقواعده والذي جعل الأشكال والأشخاص في الصورة في وضع مرتب ترتيباً سليماً .

من حيث المساحة : فقد استغل المساحة في النظرة المتكاملة في اللوحة، ولا يجوز أخفاء أي جزء من الأشكال المرسومة داخل الصورة مهما كان غير ذي أهمية ومع إبراز العناصر الآخرة المكملة للصورة كالخلفيات الخضراء المستمدة من الحدائق والمناظر الطبيعية أو عناصر الديكور الداخلي للأثاث والستائر كما يتضح خلو هذه اللوحة من آثار لمسات الفرشاة حرص الفنان على تدخل الألوان في ثنايا العناصر المختلفة المكونة للوحة، الشكل رقم (2) .

مميزات المدرسة الكلاسيكية :

من حيث الأشخاص : حيث ظهر الأشخاص في هذه اللوحات بالجمود الشبيه بالتماثيل، والوجوه خاصة وجوه الرجال التي لا يرتسم عليها أي تعبير عاطفي والتي تأخذ بصفة عامة مجالاً إغريقيا أو رومانياً، إلا إنه كان هناك اهتمام وتركيز على نظرات العينين بحيث تشد انتباه المشاهد من أول وهلة، وهي مركزة في اتجاه معين وثابت لتبدو الصورة الشخصية معها كتمثال.

من حيث الأجسام : فقد كان هناك اهتمام برسم الأجسام التي لا عيب فيها والتي يجب أن تكون كاملة ووقفاتها نبيلة .

من حيث الملابس :

فقد كانوا يحتقرون تصوير الملابس العصرية، ويرون أن الأجسام يجب إما أن تكون عارية، وإما أن تكون متزرة بالملابس الكلاسيكية .

غير أن الصور ذات الهيئة الكمالية في أعمال الأساتذة الرواد غالباً ما كانت تتضمن ملامح واقعية قوية وبخاصة تلك الملامح القوية التي نلاحظها في المعالجة الفنية للصور الشخصية [2].

الشكل (1) توضح أسلوب الكلاسيكية الجديدة . اللوحة للفنان دافيد بعنوان (موت سقراط 1787م) .

الشكل (2) للفنان جان أوجست أنجر بعنوان (تمجيد هومر 1827م) .

الرومانتيكية :

تهدف هذه المدرسة إلى التأكيد على التعبير النفسي والعاطفي كأسلوب معارض للبحث التقليدي عن القيم الجمالية في الخلق الفني، حيث تميز الفن الرومانتي بظهور نوع من الانفعالات التي لم تظهر في النزعة الكلاسيكية الجديدة .

حيث نجد أن الفن الرومانتيكي مليء بالخطوط المنحنية، كما يسعى الفنان في أعماله إلى استجداء عطفنا على المتألم والمظلوم، وهذه المدرسة تقوم على تصوير الموضوعات الدرامية والمبالغة في الحركات العنيفة وإبراز القسوة الأشبه بالصراع للوصول بالتعبير إلى أقصى حالات الإثارة فيه .

ويعد (جريكو) Taueri Ttt . Ge رائد هذه المدرسة، ويأتي (اوجين ديلاكروا) بعد جريكو زعيم هذا الأسلوب الفني بتصاويره النابضة بالحركة والحيوية، وألوانه المعبرة بشكل مأساوي عنيف، وإن كان ذلك النوع من الفن لم يمتد لأكثر من العقد الأول من القرن

التاسع عشر، حيث تحول إلى فن أكاديمي، مركزاً اهتمامه على كل ما تثير الانفعالات لدى الجماهير، (الشكل رقم (3) طوف ميدوزا) الشكل رقم (4) قتال الأحصنة العربية في الإسطبل) [3] .

الشكل (3) للفنان تيودور جيريكو بعنوان (طوف ميدوزا 1819م) .

الشكل (4) للفنان أوجين ديلاكروا بعنوان (قتال الأحصنة العربية في الإسطبل) .

الواقعية :

وهي التوجه الذي حصل بعد حدوث الثورة الصناعية في أوروبا ودخول العلم في ساحة التأثير الاجتماعي الذي سرى مفعوله إلى الأدب والفن والعمارة والذي قاده إلى تغيير المفاهيم والأشكال السائدة، فأصبح الاهتمام بالموضوع من خلال رصد الواقع وتسجيله وتحليليه كأهمية المشاعر والأحاسيس والميول الخاصة .

ومن ابرز رواد هذه المدرسة الفنان (كوربية) في التصوير (بيرنز) في العمارة [4] .

وظهرت هذه المدرسة في منتصف القرن التاسع عشر كردة فعل للمذهب الرومانتيكي الذي ناهض المذهب الكلاسيكي الجديد، ولم يكن هناك مفر من نمو هذه الحركة عندما زالت أهمية موضوعات هذين المذهبين، والمدرسة الواقعية تقوم على الدراسة الطبيعية مباشرة ونقلها بكل دقة وأمانة، فلقد كان اتجاه مصوري الطبيعة حتى منتصف هذا القرن يقوم على نقل الخطوط الكبرى للطبيعة ومن ثم تلوينها في المراسم بألوان معتمة لا ارتباط بينها وبين الألوان الطبيعية أو الموضوعات الخارجية .

وفنانو هذه المدرسة يرفضون العمل داخل المراسم ويهدفون إلى الاحتكاك المباشر مع البيئة، ونبذوا تصوير الماضي وانصرفوا إلى تصوير شؤون عصرهم، أي إن الفن لدى الواقعيين كان يتمثل في التعبير عن الأشياء الواقعية الموجودة بالفعل على اعتبار ان كل ما نراه في الواقع جميلا، ولقد تجنبت الحركة الواقعية الخيال والابتكار في موضوعاتها كما ابتعدت عن التعبيرات الرومانتيكية، وكان شعارها تمثيل الأشياء كما هي في الواقع وكان من نتيجة ذلك أن أهملت الذات في سبيل الموضوع وإهمال الخيال في سبيل رصد الواقع الفيزيقي دون تدخل مشاعر الفنان أو وجدانه أو إلهامه أو ميوله الشخصية، بل كان يقوم اتجاه الفنان على دراسة الطبيعة مباشرة، ونقلها بكل دقة وأمانة، حيث كان الفنان يسجل من خلال لوحاته أكبر قدر ممكن من التفاصيل الفعلية، مع الالتجاء المستمر إلى المظهر الفوتوغرافي الفعلي للأشياء، والى شكلها وملمسها، والى انعكاسات ألوان من شيء إلى أخر .

ولاقت هذه المدرسة إعجاب الطبقة المتوسطة، وبرزت خصائص الواقعية في الفن في طريقة التشكيل والتي تتمثل فيها حقيقة الشيء المنظور وتبرز صفاته الأصلية الهامة من الضوء والنسب والألوان .. كما كان بناء لوحات هذه الفترة محكماً من حيث التكوين وتوزيع الكتل وإيقاع الخطوط، كما في الشكل (5 و 6) توضح الأسلوب العام لهذه المدرسة [5] .

الشكل (5) لوحة للفنان كوربية 1840 1877 م) .

الشكل (6) لوحة للفنان دومية بعنوان (عربة الدرجة الثالثة 1863م) .

الواقعية المفرطة (Excessive realism) :

تعتبر هذه المدرسة وليدة أوائل النصف الثاني من القرن العشرين وأهم رواد هذه المدرسة " تشاك كلوز دون إدي وريتشارد ماكلين دينيس بيترسون وغيرهم " وعنوانها إنجاز عمل فني كلوحة أو منحوتة، بواقعية مفرطة، تتحدى مقدرة الكاميرا بجودتها العالية .

تاريخ الفن بدأ بالتحرر من تقاليد اللوحة مع الانطباعية، بعدها تشعبت التيارات الفنية وتوسعت لتشغل مدارس كان لها روادها وأتباعها الذين طوروا العمل الفني بشكل تراكمي، وسيطرت بعض التيارات على حقبة معينة من الزمن، إلى حين نشوب الحربين العالميتين، حيث لم يعد على الفنان أن يلتزم بمدرسة واحدة، أو أن يمارس عمله الفني مقيداً بإطارها وحدودها، بل بات ينعم بمساحة من الحرية، ثم دخل الفن المفاهيمي والتجهيزي ليطور آليات عمل الفنان مع قطعته الفنية، والتقنيات التي شكلت حائلاً فيما مضى أمام إنجاز أعمال تشكيلية، ويقرب المساحة بين الذهن والملموس في إنجاز الرائع غير المطروقين مسبقاً في تكوين العمل الفني .

بدأ الفن المفاهيمي أشبه بالثورة على التقنيات التقليدية المستخدمة في إنجاز اللوحة، إذ يمكن له أن يستخدم كل ما يخطر على بال الفنان لخلق الدهشة والغرائبية، بهذا أضحى هذا الفن يخاطب الذهن والنفس وردود الأفعال أكثر من رعايته وعنايته بالعمل الفني بذاته، فمن الممكن استخدام أمور بسيطة من حياتنا اليومية عبر المزج المتناغم بين المتناقضات تتحول إلى عمل فني عند طرحها في غير مسارها الأول، فبعد أن كان الفنان يعمل بجد واجتهاد لإنجاز عمل فني يسابق المظاهر الطبيعية المحيطة، أو النفسية التي تتمركز في داخلة، يخلق من خلاله الدهشة بالتقنية أولا ثم بالتقاط الموضوع أو الفكرة أضحى لا يكلف نفسه كثير العناء في العمل على قطعته الفنية، بل يعمد لما خف حمله في توظيف واضح لفكرة ما تطرح وتكون ملبية للرسالة التي يود نشرها .

فقد انفتحت العولمة التشكيلية على مستوى العالم، وباتت التجارب المختلفة بمتناول اليد، مما صعب من آلية إنتاج الفرادة والبصمة الخاصة، وأكثر من التأثر والتماهي بل أحيانا النقل في أوساط بعض الفنانين .

وفي عصر باتت التقنية هي المتحكمة، والآلات هي الرائدة في تحقيق ما يعجز عنة البشر بذات المستوى من الدقة والتميز، ظهرت الواقعية المفرطة، لتعطي للإنسان أولوية

السبق على ما أنتج وخلق من آلات أضحت تهدد وجود المعنوي وربما بالمستقبل المادي، هذا أولا ثم كرد فعل على المفاهيمي القائم على الفكرة أولا، وغير المهتم بالتقنية ثانيا ما يشكل بطريقة ما تهديدا غير مباشر على وجود اللوحة كلوحة إظهار الدهشة يمكن لها أن تتجلى بالتقنية والاهتمام بالجودة العالية للمنجز، وعلى الرغم مما يراه البعض أن الواقعية المفرطة مجرد تقليد للواقع يمكن الاستعاضة عنة بالكاميرا، ونشأت كردة فعل التيارات الفنية ما بعد الانطباعية التي حورت الشكل وبلورته وأعادت صياغته وفقا لرؤية الفنان "[6] .

التشكيل الليبي المعاصر:

عند الحديث عن التشكيل الليبي المعاصر فلابد أن نتوقف لإلقاء نظرة ولو موجزة عن الأحداث التاريخية التي مرت بها ليبيا، لنبدأ بمطلع القرن الماضي حيث كانت ليبيا ضمن المطامع الاستعمارية التي تقاسمت العالم، وكانت إيطاليا قد وضعت عينها على ليبيا حتى يكون شاطئها الرابع، بعد تهالك الدولة العثمانية في ذلك الوقت التي لم تترك لا اخضر ولا يابس إلا ودمرته، وخلفت الفقر والجهل والمرض .

وما أن انتهت الحرب الإيطالية حتى بدأت الحرب العالمية الثانية التي جعلت من الأرض الليبية مسرحاً لهذه القوات المتناحرة التي تتصارع على تقسيم العالم كالوحوش على فريستها، وفي هذه الأحداث المأساوية، كانت الحياة فوق هذه الأرض شبه مستحيلة .

ومن المعلوم أن الحياة التشكيلية لا توجد إلا في كنف الاستقرار، ولا تزدهر إلا في ظل العيش الهنيء، بهذا فإن إنسان تلك الفترة لم يقم بأي نشاط ثقافي يذكر، رغم كل العواصف العاتية وسنوات الرماد الكئيبة استطاع الشعب الليبي أن يضمد جراحه ويبدع ويحافظ على أصالته في المدن والقرى والأرياف والواحات وتحت الخيام في مجاهل الصحراء، كانت الفنون التقليدية كالزخارف والتطريز وصناعة البسط والكلم والمرقوم وملابس الرجال والنساء والأحذية، وصناعة السروج والحصر والأدوات التقليدية المستعملة من سعف النخيل وغيرها من المواد، وتفننوا في زخارف البيوت والمساجد والخلوات الصوفية حتى امتدت يد المعماري الفنان إلى أن تتقن حتى في مصادر المياه ليبدع في شكل السانية بهندستها وجمالها وبساطتها [7] .

تعتبر مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية في ليبيا التي تأسست في عام 1897م خلال العهد التركي الثاني، هي إحدى أولى المدارس الفنية التي شكلت الأساس الذي

انطلق منه فنانو ليبيا الرواد التشكيليون، وبدأت تخرج أفواجا من الفنانين التطبيقيين، والفنانون الليبيون من أجدادهم العرب والمسلمين وخاصة التأثير الأندلسي الكبير الذي تكامل مع التأثير المحلي، الأفريقي، ومن المشرق العربي والأوروبي من الشمال [8] .

تمتلك ليبيا موروثاً من أثمن ما يملك حوض البحر الأبيض المتوسط من ثروات أثرية جعل منه قبلة ومتحفاً لمتذوقي الفن والجمال، ويعتبر هذا الموروث مصدراً اتجه إليه الكثير من الفنانين لإنتاج الأعمال الفنية .

وسوف يستعرض الباحث في هذا الجزء السيرة الذاتية، وأهم أعمال الفنان التشكيلي عبدالرزاق الرياني التي تمثل الأسلوب الواقعي، والتي تأثرت بالموروث الحضاري في ليبيا وخاصة في مدينة طرابلس .

وقد اختار الباحث الفنان عبدالرزاق الرياني بصورة قصدية للأسباب التالية :

ـ تأثره بالموروث الحضاري بمدينة طرابلس من جميع نواحي الحياة التي نعيشها في لوحاته الفنية بأسلوب واقعي .

ـ امتلاك المهارة الفنية والإمكانية الفردية، والإبداع في إنتاج العمل الفني واستخدامه للتقنية والخامات بأسلوب فني واقعي .

الفنان / د . عبد الرزاق سالم المبروك الرياني

اسم الشهرة عبد الرزاق الرياني من مواليد طرابلس 1968م، متحصل على بكالوريوس رسم وتصوير كلية الفنون الجميلة والتطبيقية جامعة طرابلس1991م، وعمل بها كمعيد، مع عمله كرسام بشركة " دار الفنون " في فترة ما بين 1994ـ 1998م، وحصل على ماجستير فنون الجميلة، جامعة روما للفنون الجميلة سنة 2005م، وهو عضو في نقابة الفنانين الليبيين، كما أنه عضو في الجمعية الليبية لإحياء التراث الثقافي، له العديد من المعارض الفنية والمشاركة المحلية والدولية .

ـ أهم لوحاته مقتناة داخل ليبيا :

متحف الدراسات التاريخية في طرابلس والشركات المحلية النفطية، ومجمع وزارات الدولة سابقاً بمدينة سرت، ودار الفقيه حسن بمدينة طرابلس وجامعة طرابلس، ومصرف ليبيا المركزي والديوان الرئاسي وغيرها .

ـ أهم لوحاته مقتناة خارج ليبيا :

في إيطاليا، أمريكا، فرنسا، اسبانيا، سويسرا، هولندا، والإمارات العربية .

■ **أهم الأعمال التي كُلف بها الفنان عبدالرزاق الرياني :**

- بعد عودته من الدراسة مباشرة كُلف ضمن مجموعة من الأساتذة من قبل وزارة التعليم من خلال مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية لإعداد مجموعة كتب دليل المعلم لمادة التربية الفنية في مرحلة التعليم الأساسي .
- وفي سنة 2016م كُلف من قبل محافظ مصرف ليبيا المركزي برسم لوحات للسادة محافظي المصرف سابقاً .
- سنة 2017م كُلف من قبل السيد رئيس جامعة طرابلس برسم وإعداد لوحات للسادة رؤساء الجامعة سابقاً .

■ **المعارض والمشاركات المحلية والدولية :**

- تحصل على الترتيب الأول بمسابقة (الجديد في الفن وفي الفن الجديد) روما 2003م .
- معرض مشترك (لنلتحم مع الفن) برعاية السفارة الليبية بروما 2003م .
- معرض عالمي مشترك (معرض البورترية) مالطا 1994م .
- معرض شخصي (المعرض الفني) مالطا 1997م .
- **التجربة الفنية :**

الفنان عبد الرازق الرياني فنان ماهر يمتلك المقدرة الفنية، ويقدم ذاته، من خلال لغة فنية تأخذ من الواقع، لكنها لا تقف عند الأخذ، ولا تنقل ولا تسجل فقط، بل تضيف إلى العمل الفني الكثير، وهو فنان يتسم أسلوبه بالواقعية التصويرية، له العديد من الأعمال الفنية التي تزين دور وصالات العرض، ساهم بشكل واضح في التعريف بالموروث الحضاري الليبي، و إغناء التجربة الفنية التشكيلية الليبية بسلسلة من الأعمال الفنية التي ارتبطت بالبيئة وعبرت عن الهوية الليبية .

استلهم الفنان عبد الرزاق الرياني موضوعاته الفنية محاولاً إبراز مواطن الجمال الخاص بها، وإعادة رسم الماضي القريب حنيناً إليه وتأكيداً للعلاقة المستمرة بين الماضي والحاضر بشكل يعكس الحاضر المعاش بأسلوب واقعي .

وأنجذب إلى رسم التفاصيل والملابس المتنوعة باستخدام الخامات المختلفة في التصوير من ألوان : اكريليك، ألوان زيتية، مائي، باستيل... إلخ، متناولاً البورتري، الطبيعة

الساكنة، المنظر الطبيعي وفي كثير من الأحيان يكون محتوى موضوع اللوحة شاملاً كل هذه العناصر[1*].

الواقعية والواقعية المفرطة (الهايبرياليزم)) في لوحات الفنان عبد الرزاق الرياني .

للواقعية كباقي المدارس أثر هام على الفنانين التشكيليين الليبيين المعاصرين، حيث تأثر الفنان الليبي عبدالرزاق الرياني من بداياته بالمدرسة الواقعية، ومع تطوره في الواقعية وصل إلى الواقعية المفرطة في الرسم والتصوير، حيث أنتج مجموعه من الأعمال التي تحمل الموضوعات التراثية الليبية من (مبان قديمة وشخصيات بأزياء شعبية تراثية ليبية قديمة)، وتميزت أعماله بوضوح الألوان ونقائها وقوة التشريح والمنظور، كل هذا يعطي للفنان التميز من حيث ريادته للمدرسة الواقعية المفرطة في ليبيا .

عرض لأهم أعماله الفنية :

العمل الأول : لوحة شارب الأرجيلة : **وصف العمل :** العمل الفني يمثل لوحة تصويرية بالألوان الزيتية على قماش لرجل جالس في منتصف اللوحة متكئا على سجادة مطرزة بزخارف يدوية مستوحاة من الطراز الليبي بزخارف شرقية وعن يمين الرجل الأرجيلة، حيث استلهم الفنان الأزياء الشعبية التي يلبسها الرجال وهي الجرد الذي يلف به الرجل جسمه ورأسه أحياناً والقبعة والحذاء (البلغة)، وألوانها متباينة بين البني والأصفر والأبيض .

التجديد في لغة الفن يتوقف على استخدام الخامات والتقنيات بأسلوب واقعي، فهي تدل على صفة الفرادة، ومع هذا التجديد لم يترك الفنان تراثه وبيئته فاستلهم موضوع لوحته من البيئة المحلية المحيطة به .

تحليل العمل : أولاً : التكوين : يمثل الرجل المحور الأساسي في العمل بملامحه الشرقية الأصيلة التي تمثل الطابع الليبي القديم، ويتضح ذلك في تصميم الفنان لطريقة جلوس الرجل على وسادة وواضعاً يده على رجله، وهي من الجلسات العربية المعتادة ، وكذلك يظهر الزي الليبي لفترة معينة من العمر تمثل ظروف الزمان في العمل الفني .

حيث احتوت اللوحة على سجادة جالس عليها الرجل بها مجموعة من الزخارف العربية التي تمثل ظروف الزمان في توظيف هذه المفردات التشكيلية بما يحقق ظروف البيئة والمكان وارتباطها عمرانياً و زمانياً بالبيئة المحلية لمدينة طرابلس القديمة، وهي مجموعة من الزخارف ذات خطوط طولية وعرضية وزخارف هندسية متنوعة الأشكال .

من حيث الخطوط اعتمد الفنان على الخطوط الانسيابية المنحنية في الرجل الجالس بوسط اللوحة برأسه المائل وهو واضع يده على ركبته ، وهو بهيأة ونسب عامة مناسبة حيث يهدف إلى إظهار المعنى الجمالي في اللوحة، واستلهم الفنان الأزياء الشعبية التي يلبسها الرجال وألوانها متباينة بين الأزرق والأبيض، وقد أفاد الفنان في تصميمه للعمل الفني في الأرضية في تصميم مدخل للرؤية ونلاحظ بجانب الرجل الأرجيلة النحاسية .

ثانياً : الألوان : أعتمد الفنان في اللون على أسلوب المدرسة الكلاسيكية حيث نرى درجات البني والأصفر والاوكر في البشرة واليدين والدراسة الكلاسيكية لطيات الثوب الذي يرتديه الرجل واعتمد على الظل والنور من مصدر واحد كما في الشكل (7) .

الشكل (7) لوحة شارب الأرجيلة، تاريخ الإنتاج : 2012م، تقنية التنفيذ : الألوان زيتية على قماش، مقاس اللوحة : 100×80 سم

العمل الثاني : لوحة (السيدة المتكئة) :

وصف العمل : المشاهد لهذا العمل يلاحظ ما يلي :

1 مساحة اللوحة مستطيلة عرضياً .

2 اعتمد الفنان على تمثيل العنصر الآدمي في صورة فتاة جالسة ومتكئة على وسادة، وهي تمثل العنصر الأساسي في بناء العمل الفني .

3 خلفية اللوحة تمثل مجموعة من الوسائد المستطيلة مزخرفة بعناصر نباتية بالإضافة إلى ستارة مقسمة إلى عدة مربعات تحتوي أيضا على عناصر نباتية و زخارف .

تناول الفنان في اللوحة سيدة متكئة على كرسي وتحيط بها الوسادات من جانبها وخلفها . اهتم الفنان بالخطوط الواقعية والمنوعة بين الانسيابية، والزخارف الملتوية والزخارف الهندسية والمتوازية جاءت واقعية في اللوحة، حيث الألوان التراثية الغامقة، والاهتمام بالتفاصيل الدقيقة في الألوان، والتزم الفنان بالتضليل الذي يمنح الأجسام استدارتها وكتلتها وذلك من خلال مصدر ضوئي، وكذلك يظهر الاهتمام البالغ بإخفاء آثار الفرشاة بحيث تبدو الألوان عند التقائها متوافقة ومتداخلة، وركز الفنان في اللوحة على اللون الأحمر والأصفر والأزرق والبني، والذهبي للزخارف اهتم الفنان بأنواع الزخارف المختلفة من نباتية وهندسية، وهي واقعية ومجسمة، وألوانها صافية وأغلبها ذهبية وفضية، أما زخارف الأشكال جاءت في اللوحة واقعية، حيث ركز الاهتمام على المنظور الهندسي في الأشكال حيث الكبير في المقدمة والصغير بالمؤخرة، وتجتمع الخطوط المحددة للمنشآت في نقطة زوال عند الأفق والشكل العام للوحة اهتم فيه الفنان بالمظهر المغلق، وفيه ظهور جميع العناصر المكونة للوحة داخل إطارها .الكرسي عبارة عن خطوط متوازية .

أظهر الفنان المرأة بالأزياء الشعبية الليبية التراثية والتي لها خصوصيتها الليبية، وهي التي تلبسها المرأة في المنزل أو المناسبات، وتكون من الحرير، وتعتبر من أزياء المدن وليست القرى، وألوانها صافية وواقعية، عبر الفنان من خلال اللوحة عن أحد المشاهد الواقعية البسيطة من الحياة اليومية، بلا انفعالات ولا دراما ولا حركة، واهتم الفنان اهتماماً كبيراً بالاتجاه الواقعي في التصوير فتفاصيل اللوحة دقيقة جداً كما في الشكل (8) .

تحليل العمل الفني : أولاً التكوين :

1 – أعتمد الفنان في وضعه للموديل الجالس في اللوحة على نسبة القطاع الذهبي

حيث إن مركز الانتباه المتمثل في وجه الفتاة يشير إلى نسبة القطاع الذهبي، وهي تذكرنا بنفس وضع جلسة الفتاة في لوحة أولمبيا للفنان الفرنسي ادوارد مانية(Edouard Manet 1832 1883).

2 – نلاحظ أن اللوحة مقسمة إلى ثلاثة مستويات للرؤيا فالموديل أو العنصر الإنساني في مقدمة اللوحة والذي يمثل مكان الصدارة ويحتل المركز الأول، بينما يأتي في المركز الثاني الأرضية المتكئة عليها الفتاة والوسائد المحيطة بها ويأتي في مستوى الرؤيا الثالث الستارة في خلفية اللوحة والمقسمة إلى عدة مربعات بها وحدات زخرفية.

3 – أعتمد الفنان على البناء الهندسي في اللوحة والمتمثل في الشكل الهندسي للمربع والمستطيل والمثلث في تقسيمات الأرضية والخلفية، ونرى الفنان أيضاً يعتمد في بنائه للعنصر الآدمي على المثلث كما نلاحظ في تقسيماته شكل ويبدو فيها أيضاً أن مراكز الانتباه في الموديل تتردد في شكل مثلث بين الوجه والأيدي والأرجل .

4 – بالرغم من الخطوط المحددة للأشكال الهندسية في اللوحة تبدو طولية وعرضية وتشير إلى حالة من السبات والهدوء إلا إن الفنان كسر حدة السكون بشكل يبدو رقيقاً فنراه يلجأ إلى الخطوط المنحنية و الدائرية في الزخارف الموجودة في الوسائد و المعلقات خلف الموديل ، وهذا التطعيم يشير إلى تنوعات في الخط تثري العمل الفني وتحقق نوعا من الديناميكية .

ثانياً اللون :

1 – اعتمد الفنان في أدائه وصياغاته اللونية على الاتجاه الكلاسيكي الأكاديمي ، و الذي يعتمد على الواقعية في تلوين لون البشرة في الوجه و الاطراف ، وتأكيدا على الظل والنور وعلى اعتماد على مصدر واحد للضوء يبدو ساقطاً على العنصر الآدمي بزاوية 45 درجة ، ويبدو اهتمام الفنان بالجانب التعبيري للوجه وحركة الأطراف كما اهتم بالمحافظة على التشريح والنسب الطبيعية للظل والنور واهتمامه أيضا بتسجيل الإحساس بخامة الأقمشة والطيات وتسجيل الوحدات الزخرفية في الثوب الذي ترتديه الفتاة .

2 – حقق الفنان توازناً في تكوين اللوحة بالوضعية ودرجة اللون الأزرق الغامق على يمين اللوحة .

شكل (8) لوحة سيدة متكئة، تقنية التنفيذ : ألوان زيتية على قماش، تاريخ التنفيذ : 2008م .

العمل الثالث : لوحة (مسرح الحياة) : **وصف العمل :** نشاهد في هذه اللوحة منظراً للآثار الرومانية بمدينة « صبراتة « حيث نشاهد في اللوحة صوراً لمجموعة من الأشخاص في وضعيات مختلفة وهم يتبادلون أطراف الحديث وجعل الفنان الآثار خلفية للوحة، حيث أبرز في هذه اللوحة على يسار المشاهد عموداً رومانياً وقد أبرز في هذا العمود الزخارف البارزة والغائرة .

تحليل العمل : أولاً : التكوين : اعتمد الفنان في بنائة لهذا العمل على عنصر التوازن بين الكتل والعناصر فنراه يعتمد على عنصرين هامين في بناء اللوحة، وهما العنصر البشري والعنصر المعماري، كما نلاحظ في الشكل (9)، ونرى أن الشخص الواقف يمثل مركز الانتباه في اللوحة مكملاً في اتزان العمل مع عناصر أخرى مثل العمود المواجة له على الطرف الآخر من اللوحة ، ونرى أيضاً أن الاتزان يتكرر من خلال ترديد والموجه بين العناصر المعمارية والعناصر البشرية، فنرى أن تاج العمود عند مدخل اللوحة على اليسار يحقق اتزاناً مع الكتلة الحجرية المواجهة له على يمين اللوحة، أيضا نلاحظ أن العناصر البشرية المتمثلة في الرجال الثلاثة الجالسين على أرضية اللوحة في امتدادهم الأفقي يحققون توازناً مع كتلة المبنى المعماري الأثري بامتدادها الأفقي في الخلفية .

نرى أيضا إن الفنان قد حقق توازناً في الخط وأتجاهاته الرأسية والأفقية فعلى الرغم من معطيات الخط القائمة الرأسي تبدو واضحة للمشاهد والمتمثلة في امتداد عنصرين العمود على يسار اللوحة والنخلة على اليمين والرجل الواقف بجوار النخلة، وأيضاً الأبواب الموجودة في الكتل المعمارية خلف اللوحة ، إلا إن الفنان قد وضع توازناً معادلا في تقطيعات قصيرة ممتدة أفقيا موازية لخط الأفق في اللوحة .

ثانياً : اللون : اعتمد الفنان في تلوينه وصياغته الأدائية للوحة على مدرسة الاتجاه الواقعي المعتمد على التمثيل الواقعي للعنصر البشري والطبيعة المحيطة به فنراه يلجأ إلى استخدام الدرجات اللونية للبشرة واللون الأزرق للسماء والبحر مع تأكيدات الظل والنور، أيضا التمثيل الواقعي للعناصر النباتية والحيوانية، وهذا العمل يذكرنا بلوحات المستشرقين (Orientlist) .

الإضاءة في اللوحة تبدو إضاءة طبيعية مصدرها ضوء الشمس المباشر الساقطة على الأشكال والعناصر المعمارية، ويضع ظلالاً واضحة ممتدة أسفل الأشكال .

الشكل (9) لوحة مسرح الحياة، تاريخ الإنتاج :2006 م، تقنية التنفيذ : الألوان زيتية على قماش، مقاس اللوحة : 70 × 50 سم

العمل الرابع : لوحة : (اللا) [2*]

وصف العمل :

أولا : التكوين : بدأ الفنان برسم هذه اللوحة في صيف 2013 م، وآخر لمسة لإتمام هذه اللوحة سنة 2018م، ويحاكي بريشته الواقع بين أسلوب المدرسة الكلاسيكية الجديدة والواقعية، حيث اهتم الفنان بالتفاصيل الدقيقة مع التركيز على الضوء والظل وإظهار الألوان الفاتحة والغامقة في اللوحة، وأضاف أيضا على عمله الفني الذي يجسد الواقع الليبي التعبير عن إحساسه باللحظة، ويتفنن في استخدام تعابير الوجه في لحظة استرخاء وهدوء[8]، وتفننه أيضا في الزخرفة حيث احتوت اللوحة على الزخرفة النباتية والهندسية بالوانها الزاهية بين الغامقة والفاتحة في خلفية وأرضية اللوحة .

ثانيا : اللون : حيث اعتمد الفنان على الألوان المتدرجة في مجموعة الزخارف التي على خلفية وأرضية اللوحة، واعتمد الفنان في اللون على أسلوب المدرسة الواقعية حيث نرى درجات البني والأصفر والأوكر في البشرة واليدين والدراسة الواقعية لطيات الثوب المقلم الذي ترتديه الفتاة، واعتمد الفنان على الظل والضوء من مصدر واحد .

الشكل (10) لوحة : اللا، تاريخ الإنتاج : 2018، تقنية التنفيذ : الألوان زيتية على قماش، مقاس اللوحة : 100×90 سم .

العمل الخامس : لوحة : **(السيدة وسلة الفاكهة) إيحاء من لوحة كارافاجيو**[3*]

تعتبر هذه اللوحة آخر أعماله الفنية المستوحاة من أعمال الفنان الايطالي كارافاجيو

وصف العمل :

أولا : التكوين : اللوحة عبارة عن فتاة بالزى الليبي جالسة مرتدية الرداء بألوانه الزاهية، وتحمل طبقا به مجموعة من الفاكهة حيث تتصدر الفتاة مساحة اللوحة في تكوين هرمي، وتبدو على وجهه الابتسامة وترتدي مجموعة من القلائد ذات زخارف شعبية .

أهم ما يميز تكوين هذا العمل هو اعتماد الفنان على البناء الهرمي، فنرى أن رأس الفتاه يتمثل قمة الهرم وقاعدة الهرم عند تقاطع إطار اللوحة مع جسم الفتاة والفاكهة، أيضاً نلاحظ أن الفنان يؤكد على تكرار التكوين الهرمي مرة أخرى داخل اللوحة من خلال تردد عين المشاهد بين وجه الفتاة أعلى اللوحة وكفيها أسفل اللوحة .

ثانيا : اللون : حيث خلفية اللوحة احتوت على الألوان الغامقة لإبراز الشكل الأساسي المتمثل في الفتاة، وأعتمد الفنان في اللون على أسلوب المدرسة الواقعية حيث نرى درجات البني والأصفر والاوكر في البشرة واليدين والدراسة الواقعية لطيات الثوب المتمثل في الرداء المقلم الذي ترتديه الفتاة، واحتوت الفاكهة على الألوان الصافية المتمثل في الأصفر والأحمر والأزرق والأخضر بتدريجاتها، واعتمد الفنان على الظل والضوء من مصدر واحد .

الشكل (11) لوحة : السيدة وسلة الفاكهة، تاريخ الإنتاج : 2018، تقنية التنفيذ : الألوان زيتية على قماش، مقاس اللوحة : 100×90 سم .

الشكل (12) لوحة للفنان الإيطالي : كارافاجيو . Caravajio . 1531 1610

ملحق الصور

بعض الرسومات بقلم الرصاص والفحم والألوان الزيتية والمائية

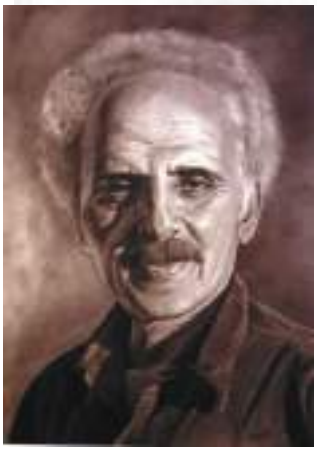

المراجع

1 موجز تاريخ تقنيات الفنون، عبدالجبار حميدي محيسن الربيعي، عمان، 1998م، ص 498 .

2 جولة في فن وتاريخ التصوير الزيتي، أسامة الفقي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003م، ص 64.63 .

3 نعمت إسماعيل علام، فنون العرب في العصور الحديثة، القاهرة دار المعارف، ط4، 2001م، ص 37 .

4 موجز تاريخ تقنيات الفنون، عبدالجبار حميدي محيسن الربيعي، عمان، 1998م، ص 489 .

5 موجز تاريخ تقنيات الفنون، عبدالجبار حميدي محيسن الربيعي، عمان، 1998م، ص 102 .

6 الواقعية المفرطة... وريثة اللوحة التشكيلية الحديثة، نزار عثمان، الاثنين 12 09 2016، المدن: جريدة الكترونية مستقلة

7 جولة في فن وتاريخ التصوير الزيتي، أسامة الفقي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003م، ص 74 .

8 الرياني يغزل تفاصيل الحياة في لوحة جديدة، بوابة الوسيط صوت ليبيا الدولي، القاهرة، الثلاثاء 19 يونيو 2018م .

الهوامش

1 – مقابلة شخصية مع الفنان التشكيلي عبد الرزاق الرياني، بتاريخ 5. 12 2018 م .

2 – اللا : بمعنى السيدة، وهو خطاب توقير للمرأة في اللهجة الدارجة في ليبيا .

3 – ميكيل انجلو ميرسي (بالايطالية : Michelangelo Merisi) والملقب (كارافاجيو) Caravajio . 1610 1531) نسبة إلى مدينة مسقط رأسه وهو رسام ايطالي قام بإضفاء جوً درامي على مشاهد لوحاته الواقعية، حيث عاش كارافاجيو يتيم الأب والام بعمر صغير جداً،وقد كان يحب الرسم منذ طفولته، انتقل إلى ميلان وبدأ يتدرب تحت إشراف رسام مشهور، ثم عمل مع العديد من الرسامين الآخرين ثم بدأ يعمل بشكل مستقل بمفرده .